**الخطبة : إلى من أدرك رمضان**

الأولى

ﭽ ﯷ ﯸ ﯹ ﯺ ﯻ ﯼﯽ ﯾ ﯿ ﰀ ﰁ ﰂ ﰃﰄ ﰅ ﰆ ﰇ ﰈﭼ لقمان: ٣٤

الحياة مهما طالت أيامها، وتتابعت سنواتها، لابدّ من ساعة وخاتمة، يقف العبد عندها على حقيقة لا يكابر فيها مكابر، ولا يجادل فيها ذو عقل .

إنّما الدنيا بلاء ليس في الدنيا ثبوت

إنّما الدنيا كبيت نسجته العنكبوت

كل من فيها لعمري عن قريب سيموت

إنّما يكفيك منها أيها الراغب قوت

وأيم الله ليوشكن الحيّ منّا أن يموت ..

وأيم الله ليوشكن الشّباب أن يفنى ﭽ ﰀ ﰁ ﰂ ﰃ ﰄ ﰅ ﰆ ﰇ ﰈ ﰉ ﰊ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖﭼ الشعراء: ٢٠٥ - ٢٠٧

تالله إنّ للعمر أيّام، وإنّ للحياة نهاية وكلّنا لا ندري متى ينقضي العمر ؟

ومتى تبلغ الحياة نهايتها ؟

ﭽ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﭼ العنكبوت: ٥٧

عبد الله ...

لو كشف لك عن خفيّ أجلك، ولحظة سفرك ورحيلك من هذه الدنيا .

لو كشف لك أنّك في آخر أيام حياتك، وأنّ ما أدركته من شهر رمضان لهذا العام هو آخر رمضان لك في الحياة .

يا ترى !! ماذا كنت فاعلا ؟ كيف ستقضي ليلك ونهارك ؟

كم سيكون وردك من الذكر والقرآن ؟

كيف سيكون إقبالك، وإنابتك، وإخلاصك، وصدقك ؟

كم سيكون برّك، وإحسانك، وعفوك ؟

أسئلة كثيرة تتحدث عن حقيقة أذهبها طول الأمل الذي أنسانا الآخرة .

أخي المسلم ..

إنّ الشعور بالوداع وقرب الأجل يبعث في النّفس همّة عالية للعمل الصالح، ويزجرها عن العمل السيّء زجراً، لقد غرّنا التسويف وكثرة الأماني، وتعلقت النّفوس بأوهام الحياة وباطلها، فأصبح الواحد منّا كلّما تقدّم به العمر ازداد على دنيا حرصا، وعلى المال كَلَبَاً([[1]](#footnote-1))

يهرم الإنسان، وتأكل الأيام شبابه، ويبقى أمله غضاً قويا، صدق : «لاَ يَزَالُ قَلْبُ الكَبِيرِ شَابًّا فِي اثْنَتَيْنِ: فِي حُبِّ الدُّنْيَا وَطُولِ الأَمَلِ» رواه البخاري .

جَاءَ رَجل إِلَى النَّبِيِّ فَقَالَ: عِظْنِي وَأَوْجِزْ. فَقَالَ: «إِذَا قُمْتَ فِي صَلَاتِكَ فَصَلِّ صَلَاةَ مُوَدِّعٍ ... » رواه ابن ماجه وصححه الألباني في السلسلة رقم 401 .

إنّ الشعور بقرب الأجل، ودنوّ الرّحيل يأخذ بالعبد إلى إحسان عبادته وإتمامها، فتخيّل نفسك أنّك تصلّي صلاةً تودّع بها الدنيا ، وتصوم رمصان صيام مودّعٍ لن يدرك رمضان بعد هذا العام .

كم كنت تعرفُ مِمن صَام في سلف من بين أهل وجيرانٍ وإخوانٍ

أفناهم اْلموتُ واستَبْقاك بَعـــــدهم حياً فما أقرب القاصي من الدّانـي

ومعجب بثياب العـــيد يقطعها فأصبحت في غدٍ أثواب أكفانِ

فحق والله على كل مسلم أدرك رمضان صحيحاً يرى المرضى على الأسرّة البيضاء، وطليقاً يتذكّر السجناء، وآمناً لم يتجرّع مرارة الخوف والبلاء، وحيّاً يمرّ بالمقابر وقد ملئت بالآباء والأبناء .

حق لمن أدرك رمضان آمناً في أهله، معافاً في جسده، عنده قوت يومه أن يملأ قلبه بالحمد والثناء، ولسانه بالشكر والدعاء على بلوغ هذا الشهر العظيم .

يقول طلحةُ ابنُ عُبَيْدِ اللَّهِ : قدم رجلان على النبي قد أسلما جَمِيعًا، وَكَانَ أَحَدُهُمَا أَشَدَّ اجْتِهَادًا مِنْ صَاحِبِهِ في الطاعة والعبادة، فَغَزَا الْمُجْتَهِدُ وألقى في نفسه في ساحات الجهاد وأدركته سهام المنايا فقتل شهيدا في سبيل الله ، ثُمَّ مَكَثَ الْآخَرُ بَعْدَهُ سَنَةً ثُمَّ تُوُفِّيَ، قَالَ طَلْحَةُ: فَرَأَيْتُ فِيمَا يَرَى النَّائِمُ كَأَنِّي عِنْدَ بَابِ الْجَنَّةِ، إِذَا أَنَا بِهِمَا وَقَدْ خَرَجَ خَارِجٌ مِنَ الجَنَّةِ، فَأَذِنَ لِلَّذِي تُوُفِّيَ الْآخِرَ مِنْهُمَا، ثُمَّ خَرَجَ فَأَذِنَ لِلَّذِي اسْتُشْهِدَ أن يدخل بعده الجنة ، فعجب طَلْحَةُ وعجب النَّاس من خبره وطار الخبر إلى رَسُولِ اللَّهِ فَقَالَ: «مِنْ أَيِّ ذَلِكَ تَعْجَبُونَ؟» قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، هَذَا كَانَ أَشَدَّ اجْتِهَادًا ثُمَّ اسْتُشْهِدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَدَخَلَ هَذَا الْجَنَّةَ قَبْلَهُ، فَقَالَ: «أَلَيْسَ قَدْ مَكَثَ هَذَا بَعْدَهُ سَنَةً؟» قَالُوا: بَلَى. قال: «وَأَدْرَكَ رَمَضَانَ فَصَامَهُ؟» قَالُوا: بَلَى قال: «وَصَلَّى كَذَا وَكَذَا سَجْدَةً فِي السَّنَةِ؟» قَالُوا : بَلَى، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ : «فَلَمَا بَيْنَهُمَا أَبْعَدُ مَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ»

ألم أقل لك : إنّ إدراك رمضان غنيمة من فرّط فيها فقد استحقّ دعاء رسول الوحي في السماء وتأمين رسول الوحي في الأرض

قفد صَعِدَ الْمِنْبَرَ ، فَقَالَ: «آمِينَ آمِينَ آمِينَ» قِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّكَ حِينَ صَعِدْتَ الْمِنْبَرَ قُلْتَ: آمِينَ آمِينَ آمِينَ، قَالَ: «إِنَّ جِبْرِيلَ أَتَانِي، فَقَالَ: مَنْ أَدْرَكَ شَهْرَ رَمَضَانَ وَلَمْ يُغْفَرْ لَهُ فَدَخَلَ النَّارَ فَأَبْعَدَهُ اللَّهُ، قُلْ: آمِينَ، فَقُلْتُ: آمِينَ » رواه ابن حبان وصححه الألباني من حديث أبي هريرة .

وربّ الكعبة إنّ إدراك رمضان عطيّة ومنحة لا يعرف قدرها إلاّ من استدبر الدنيا وعاين الآخرة بين عينيه وأصبح رهين قبره قد انتهى أجله وانقطع عمله؛ وحيل بينه وبين ما يشتهيه، فرمضان شهر اختاره الله وصبّ الخير فيه صبّاً فهذه غنيمتنا يا عباد الله، هذه فرصتنا للتزوّد للموت وسكرته، وللقبر وظلمته، وللحشر وشدّته، وللصّراط وزلّته ؛ فقلوبنا ركنت إلى الدنيا وتحصيل المال ، وفتنة الزوجة والعيال والعقار .

قلوبنا أهلكتها عداوة الغلّ، والحقد، والشحناء الراكدة المتغلغلة، ناهيكم عن أمراض القلوب التي صنعها البي بي والوات ساب والفيس بوك وتويتر فمرضت القلوب بالشهوات مرضاً لا يكشفه إلا الله ، ونحن يا معاشر الكرام في ميدان سباق ومنافسة ، وفرصة إدراك رمضان تفوت ولا تفوّت ، فهيابنا فهيابنا نحسّس قلوبنا بفضائل هذا الشهر وسرّ عظمته.

هيا بنا لنذوق طعم الفرح الحقيقي بنعمة بلوغ هذا الشهر ولذّة التنعم بعبادته ويرى كلّ من حولنا أنّ السرور والفرح قد غمر قلوبنا ببلوغ هذا الشهر ، فهيا بنا نقف هنيهة مع أنفسنا لنأطرها على الحقّ والطاعة أطرا ونزجرها عن المعصية زجرا.

يا كرام .. والله إنه شهر واحد..

شهر واحد يمحو عذابات وآلام السنين..

شهر واحد يذهب بأوزار كأمثال الجبال ..

ﭽ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣﮤ ﭼ البقرة: ١٨٥

شهر واحد يغفر ذنوب العمر كلها، فالذنوب أثقلتنا يا عباد الله، الذنوب حرمتنا وأهلكتنا..

شهر واحد يا أخي يغسلك من ذنوب طالما تألمت لفعلها ..

الفضيل ابن عياض أصبح عابد الحرمين بعد أن كان لصاً قاطع الطريق ، للحظة جادّة غيّر بها مسار حياته.

أخي لقد جاء رمضان ليساهم في تغيير مسار حياتنا .

جاء رمضان ليقول لكلّ واحدٍ منّا : " ذق أثر الجوع لتتلذّذ بالخضوع والخشوع "

جاء رمضان ليضعف الشّهوة ويربّي القلب ويزكّي النّفس .

جاء رمضان ليقول للعصاة والمذنبين الغافلين: كفى ما كان ... فقد طال زمن العصيان.

ﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭼ النساء: ٢٧

فهيا بنا ، فرمضان فرصتنا وربّ الكعبة ، فرصتنا للنّجاح في حياتنا .

النّاس يخططون لتجاراتهم ودراساتهم فأين من يخطط لحياته ومماته ؟

كلّنا يطلب في رمضان المغفرة من الله ، نطلب رحمة الله في رمضان .

نطلب العتق من النّار في رمضان ، نطلب الفوز بالجنان في رمضان .

نطلب صلاح القلوب في رمضان ، والسؤال الضخم ماذا يطلب رمضان منّا ؟

نعم عبد الله ،، ماذا يريد رمضان منّا ؟

رمضان يريد منّا أن نعظم شعائر الله بالإمتثال والإجلال ..

رمضان يريد منّا أن نراقب الله في السر والعلن ..

رمضان يريد منّا أن نعلم جميعاً أن قرار التغيير والإصلاح لأنفسنا وأسقامنا هو بأيدينا نحن

فنحن أصحاب القرار ﭽ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖﯗ ﭼ الرعد: ١١

فنحن أصحاب القرار في تغيير أنفسنا ، فالحياة في رمضان مع القرآن تتغيّر ، قلوبنا تتغيّر ، حفاظنا على الصلاة يتغيّر ، قيامنا في الليل يتغيّر ، أرواحنا تتغيّر ، أخلاقنا تتغيّر ، نفوسنا نحو العفو الصفح تتغيّر ، الحياة كلّها تتغيّر .

فرمضان شهر يعلم القلب كيف يخشع ويخضع ؟ كيف ينكسر ويرق ؟

رمضان شهر يعلم العين كيف تدمع من خشية الله ؟

رمضان شهر يعلم المذنب كيف يتوب ويعود ؟

رمضان شهر يعلّم الروح كيف تحلّق في سماء الروح والمناجاة ؟

دعِ العبدَ يا عبدُ وارفع يديك ودقَّ السماءَ وقل يا ودود

الثانية

رمضان قد أتى إلينا ، فتعالوا بنا لنأتي نحن إلى رمضان ، فهيا بنا لنقبل عليه فقد مضى الربع الأول من الشهر، وأيّامه معدودات ورحمة الله قريبٌ من المحسنين وربّنا كتب على نفسه الرحمة ﭽ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﭼ الأنعام: ٥٤

فأبشروا يا أهل الصيام والقيام ..

أحسنوا الظنّ بالله يا أهل الإحسان والقرآن ..

أبشروا يا من سعيتم على الأرملة والمسكين وإفطار الصائمين ..

أحسن الظنّ بالله يا من زلت به القدم ..

أبشر فقد أقبلت التجارة الرابحة ..

أبشر فقد فتحت أبواب النعيم ..

أبشر فقد أغلقت أبواب الجحيم..

أبشر فقد أقبل الكرم الإلهي والجود الرباني.

أبشر يا عبدالله..

فإنّنا نعبد ربّاً أرحم بالعبد من الأمّ بولدها، فقل أيّها الصائم في ليلك ونهارك وعند جوعك وإفطارك ﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭼ الأعراف: ٢٣

يا غـافر الذنب العظيم وقابـلاً للتـوب قلـبٌ تائـبٌ ناجاكـا

أتردُّهُ وترُدُّ صادِقَ توبتي حاشاك ترفض تائباً حاشاك

يا رب جئتك نادماً أبكـي علـى مـا قدَّمَتْـهُ يـداي لا أتبـاكـى

أخشى من العْرض الرهيب عليك يا ربـي وأخشى منـك إذ ألقاكـا

يا رب عـدت إلى رحابك تائبـاً مستسلماً مستمسكـاً بعُـراكـا

1. () الكلب: (الحرص) كلب على الشيء كلبا: إذا اشتد حرصه على طلب شيء. وقال الحسن: (إن الدنيا لما فتحت على أهلها، كلبوا عليها والله أسوأ الكلب وعدا بعضهم على بعض بالسيف) . تاج العروس (4/163) . [↑](#footnote-ref-1)